



خواطر ومشاهدات  
في رحلة الحج والعمرة

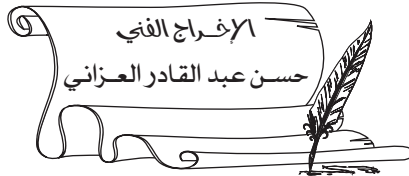
# الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

## حقوق الطبع محفوظة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي  
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +  
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي  
[www.iacad.gov.ae](http://www.iacad.gov.ae) [mail@iacad.gov.ae](mailto:mail@iacad.gov.ae)





بقلم

د. عبد السميع محمد الأنيس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..  
وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي -  
إدارة البحوث » أن تقدّم هذا الإصدار من كتاب « خواطر  
ومشاهدات في رحلة الحج والعمرة » لجمهور القراء من  
السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.  
فهذه رسالة موجزة سطر المؤلف فيها ما جال في خاطره،  
وكتبها بأشواق روحه ومداد من دمع قلبه في رحلته للحج،  
خواطر أفاضها الجنان على اللسان، لتكون تذكرة وعظة  
لقارئها، وزاداً له في رحلته للحج أو العمرة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء  
لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله،



وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تمييز وإقدام، وفي مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطلابه .

راجين الله العلي القدير أن ينفع الأمة بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق الجميع إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمي الخاتم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري

## المُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى  
آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

١- فهذه خواطر أثارها الغرام الساكن لأشرف  
الأماكن، ذلك الملاذ الآمن الذي تهوي إليه أفئدة من  
رضيهم الحق تبارك وتعالى لدخول حرمه، وزيارة بيته  
العتيق، وتهواه.

كتبتها بأشواق روحي، وبمداد من دمع قلبي، وكنت  
فيها المترجم عن شعوري ومشاعري وأنا أنفذ أوامر الله،  
مترسماً خطا رسول الله ﷺ، القائل في حجة الوداع:  
«خذوا عني مناسككم...»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة  
يوم النحر راكباً، برقم (١٢٩٧). والبيهقي في السنن الكبرى  
١٢٥/٥، واللفظ له.

٢- رعى الله تلك الأيام ما أجمَلها، وما أمْهاها، وتلك الليالي المباركة ما أشدَّ بريقها، وأرقَّ نسيمها، وأبهى سناها. ليالي الحُبُور والسرور، والرَّوح والرَّيحان.

ليالي وصالٍ لو تباغُ شريئُها  
بروحي، ولكن لا تُباع ولا تُشْرَى

٣- وسقياً لتلك اللحظات التي عشناها في حمى تلك الرحاب الطاهرة، والرياض النضرة.

أيا عذباتِ البانِ من أيمنِ الحمى  
رعى الله غيشاً في رباكِ قطعناه  
سرقناه من شَرخِ الشبابِ وروقه

فلما سرقنا الصفوً منه سرقناه<sup>(١)</sup>

(١) هذان البيتان لابن رُشيد البغدادي الوتري (ت ٦٦٢ هـ) من قصيدته الذهبية والحجة المكية والزورة المحمدية، وهي =



٤ - وشكراً لله الذي منَّ علينا، ورضينا أن نكون  
من ضيوفه، وأدرجنا ضمن الوفود التي دعاها لزيارة  
بيته، والتمتع بحرمه، ممن تلهج ألسنتهم بالتلبية  
والتكبير، متمثلين كلمات الشاعر المكي الشيخ حسين  
عرب رحمه الله:

ليكَ يا رب الحجيحُ جموعُهُ وفدتُ عليك

ترجو المثابَةَ في حماك، وتبتغي الزلفى لديك

ليكَ والآمالُ، والإفضالُ من نعمى يديك

لبى لك العبدُ المطيعُ، وجاء مبتهلاً إليك

= قصيدة عصماء، رائعة البيان، عدد أبياتها (٢٨٢) بيتاً،  
عبر فيها عن أشواقه وذكرياته في تلك الرحاب الطاهرة  
شعراً، وتوفي بعد عودته من الحج في تَنيس في مصر. ولها  
أكثر من طبعة.

٥- خواطر أفاضها الجنان على اللسان، فكنت أقيدها حين ورودها لتكون تذكرة لي، وتذكراً لتلك اللحظات الجميلة في الصلاة مع الله عز وجل عند تعب النفوس، ورهق الحياة، وبعثاً للغرام الساكن في قلب كل من يقرؤها لعلها تحركه للسیر شوقاً إلى تلك البقاع. ودعوة لكل من يستطيع أن يعبر عن مشاعره أن يكتب، وأن يعبر.

وقد سنح بها الخاطر في تلك البقاع المباركة، في رحلتي إلى الحج عام (١٤٣٢هـ). وفي عام (١٤٣٣هـ).

وزادها بركة أنني كنت أقرؤها على من معي، ومن حولي في المسجد الحرام، وفي الطواف حول البيت، وفي صعيد عرفة، وفي مزدلفة، وفي زحمت منى، وفي المسجد النبوي قرب الحبيب المصطفى ﷺ فكانت تبعث فينا السكينة والراحة والاطمئنان.

٦- وهذه الخواطر- وقد بلغ عددها ٦٥- تدخل فيما يطلق عليه عند الفقهاء مقاصد الحج، وبيان حكمه، والإشارة إلى معنى من معانيه، وبعضها كان مشاهدات ظننت أن فيها فائدة فكتبتها، وسمعت قصصاً رأيت فيها عبرة فأثبتتها. وكل ذلك انتزعته من يومياتي التي كنت أدونها في هذه الرحلة، ولكن ذكرتها هنا غفلاً عن التاريخ، ضامماً النظر إلى النظر، وقصدي أن ينشغل المسلم بمعانيها بعيداً عن شخصي، ولا أرجو من وراء ذلك سوى دعوة في الغيب يتذكرني بها مَنْ يطالعها لاسيما إذا كان في تلك الأماكن الشريفة.

أما أحكام الحج فلها كتب مطولة ومختصرة يمكن الرجوع إليها، والاستفادة منها.

أسأل الله تعالى أن ينفعني بما كتبت يوم العرض عليه،  
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم،  
والحمد لله رب العالمين.



## ٧- الحج رحلة الشوق والحب

قال الإمام الدهلوي رحمه الله: «وربما يشواق الإنسان إلى ربّه أشدّ شوق، فيحتاج إلى شيء يقضي به شوقه، فلا يجده إلا في الحج»<sup>(١)</sup>. أو العمرة.

## خواطر حول مكة

### ٨- في واد غير زرع

خاطرة: ما الحكمة في أن يكون بيت الله في واد غير ذي زرع، محاط بالجبال، ولم يكن في أرض سهلة، على شواطئ الأنهار والبحار، محاط بالزرع والفواكه والثمار؟ والجواب: أنّ الحق تعالى أراد أن يعلمك أنّ الوصول إلى بيته طريق تصحبه المشاق والمتاعب.

(١) حجة الله البالغة ١/ ٢٦٢.



فما بالك بالوصول إليه جلَّ وعلا، لا شك أنه سيكون أكثر مشقة وصعوبة. وهذا يحملك على الاجتهاد في الوصول إليه عز وجل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وشيء آخر نبهني إليه أحد سائقي سيارات الأجرة في مكة، قال: وادٍ غير ذي زرع حتى لا يكون مطمعاً للملوك، ومطمحاً لتنافسهم عليه.

قلت: ولعل ذلك يكون سبباً من أسباب الأمن الذي أراده الله لبيته. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا...﴾ [القصص: ٥٧]. فهذه بقعة مباركة، هي سرّة الأرض، ونقطة مركزها، أرادها الله تعالى أن تكون محلاً للعبادة، لا مكاناً للمنافسات، وليس وجهة للسياحة والتنزه والبطالات.

وقد حدثني صديق في مكة عن رجل اشترى أرضاً في ضاحية من ضواحي مكة، وأنفق مالا كثيراً في زراعتها لتكون محلاً للاستجمام والراحة فلم تفلح مساعيه في ذلك. وبينما كان يتحدث يوماً عن تجربته أمام أحد معارفه من أهل العلم، قال له ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿عَبْرَ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، قال: فكأنني أسمع هذه الآية لأول مرة.

## ٩ - قصة الرمان

اشترت رماناً من محل في حي الحجون، فسألت البائع: من أين هذا الرمان؟ فقال: من اليمن، وحضرنا عند صديق من أهل مكة فقدّم لنا أنواع الحلويات والفاكهة من بلدان مختلفة، فقلت: ما السر في قوله تعالى



على لسان إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ...﴾، ثم قال: ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فلماذا أسكن إبراهيم أهله بواد غير ذي زرع؟

والجواب: أن هذا الإسكان تم بإرادة الله، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ...﴾ [الحج: ٢٦]. ولعل الحكمة من ذلك هي: أن تنقطع آمال ساكنيه من الأسباب الأرضية، ويتوكلوا على رب البيت الذي يطعم من جوع ويؤمن من خوف. أراد أن يعلمهم شدة الارتباط بالله، والاعتماد عليه.

وإذا كان ذلك كذلك فإن الله مكن لهم حرماً آمناً، يجبى إليه ثمرات كل شيء، قال تعالى: ﴿...أَوْلَمْ نُمَكِّنْ



لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ [القصص: ٥٧].

وهذا مظهر من مظاهر العزة، ونوع من أنواع الكرم  
الإلهي لقاصدي بيته واستجابة لدعوة إبراهيم عندما دعا  
ربه بقوله: ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾  
وكأن الحق تعالى يقول لنا:

من توكل عليّ، وسلّم أمره إليّ، فأنا أرزقه رزقاً  
لا يحتاج معه إلى مؤونة التعب، وأجعله مخدوماً لا خادماً،  
وألبسه ثوباً من عزتي وكرامتي. وكل ذلك اضطراراً يلجأ  
إليه، لا اختياراً هو في سعة من الأخذ به أو تركه. والله  
في خلقه ومخلوقاته شؤون وحكم. وهذا مصداق قوله  
تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِّن حَيْثُ  
لَا يَحْتَسِبُ...﴾ [الطلاق: ٢-٣].



## ١٠ - أيام ذي الحجة في مكة أعراس الإسلام

أيام ذي الحجة في مكة أعراس الإسلام، فهنيئاً لمن وفقه الله فحضر... وإني لأعجب كيف صُرفت همم الأغنياء الذين يطلبون دائماً الربح في تجارتهم عن هذه الأعراس، وما ذلك إلا منقبة للفقراء في أن يتداركوا ما فاتهم من أعمال قصرت هممهم عنها بسبب ضيق ذات اليد.

## ١١ - أجمل سماع للقرآن سماعه في مكة

أجمل سماع للقرآن سماعه في مكة؛ لأنك تسمعه في أول مكان شرفَ بتنزل القرآن الكريم فيه، ويزداد تأثيراً إذا كانت السور مكية.

وسماع القرآن أو تلاوته، في مهبط نزوله، لهما مذاق خاص لا يتذوقه الإنسان في غير هذا الموطن.



## ١٢ - أجمل صباح في مكة صباح عيد الأضحى

أجمل صباح في مكة صباح يوم عيد الأضحى؛ وذلك لأنك تعيش فيه ولادة جديدة في الحياة، أليس قد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(١)</sup>.

وإذا علمنا بأنَّ «الحجُّ عرفَةٌ...»<sup>(٢)</sup> كما أخبر

- (١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب قول الله عز وجل: «ولا فسوق ولا جدال في الحج» برقم (١٨٢٠). ومسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١٣٥٠) عن أبي هريرة. والترمذي، برقم (٨١١) ولفظه: «.. غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». وقال: «حديث حسن صحيح».
- (٢) أخرجه الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج برقم (٨٨٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وأبو داود، كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة، برقم (١٩٤٩) والنسائي، كتاب الحج، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بمزدلفة، ٥ / ٢٦٤.

النبي ﷺ، فَإِنَّ العيد هو بمثابة التعبير عن هذه الولادة .

### ١٣ - أفضل صديق لك هو الصديق الذي تبدأ صحبتك له في البلد الحرام

وذلك لأنَّ هذه الصحبة غالباً ما تكون خالصة لوجه الله تعالى، لا تشوبها شائبة المصالح، وتكون صحبة صالحة مباركة - إن شاء الله - من آثار بركة البيت العتيق، ألم يقل الله تعالى: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا...﴾ [آل عمران: ٩٦]، ومن أمثالهم: (صحبة حج).

### خواطر حول الإحرام

١٤ - لاحظت في نزع الملابس عند الإحرام معنى إظهار التذلل والعبودية للإله المعبود، وهو تشمير وتهيؤ للخدمة، فكان لسان حالك يقول: يا رب، يا مولاي ها أنا

قد نزع ثيابي، وزيتتي، ولبست لباس الذل والانكسار  
للقيام بالخدمة بين يديك.

والعودة إلى اللباس بعد أداء المناسك فيه معنى إظهار  
النعمة التي أفاضها المنعم.

١٥- وفيه: الشعور بالتواضع، وعدم التكبر بعد  
مشاهدة الناس على اختلاف أجناسهم، وألوانهم،  
ومشاربهم، ووظائفهم، وطبقاتهم، ورؤيتهم في هيئة  
واحدة.

١٦- وفيه: تربية النفوس على ترك الترفُّه في الطعام،  
والشراب، واللباس، والسكن، ومخالفة العادات التي  
تعوّدها في تناوله هذه الأشياء، وتعامله معها.

## ١٧ - لباس الإحرام

يشعر المسلم عندما يلبس لباس الإحرام شعور الميت  
عندما يكفّن فأين هي أمواله، وأنواع لباسه، وزينته؟!  
وتخليه هذا يورثه مشاعر حقيقية تذكّره بأول برزخ من  
برازخ الآخرة، وصدق من قال:

وصرنا كأمواتٍ لفننا جسومنا

بأكفاننا كلُّ ذليلٍ لمولاه

## ١٨ - الإحرام من الميقات المكاني

لاحظت في الإحرام من الميقات معنى التذلل للمعبود  
الحق، فكأن لسان حالك يقول: يارب، ويا مولاي: نزعت  
ملابسي، وتهبأت للخدمة من مسافات بعيدة تعبيراً عن

ذلي وافتقاري وانسلاخي من مظاهر الدنيا، متفرغاً تفرغاً  
كاملاً للخدمة، والقيام بحقوق الربوبية.

وإذا علمنا بأن أكثر المواقيت تقع في مناطق أشبه  
بالواديان، ثم تأتي بعد ذلك الجبال المحيطة بمكة أدركنا  
معنى التهيؤ المذكور.

### ١٩ - فكرة الترفه في الحج

الذي يطلع على محرمات الإحرام، مثل: المحرمات من  
اللباس، والامتناع عن لبس المخيط أو المحيط لبساً معتاداً  
كالعمام، والخفاف، وغير ذلك. ومثل: المحرمات المتعلقة  
بالبدن كتطيبه، وإزالة شعته، أو تقليد أظافره. ومثل:  
تحريم الصيد، ولو كان غير مأكول اللحم من الحيوان.  
ومثل: الجماع ودواعيه... يجد أن مقصداً مهماً من مقاصد  
الحج ترك الترفه.

وفي هذا من الحكمة: أنَّ الشرع الحنيف أراد من المسلم أن يتعوّد على ما قد يصيبه من تقلبات الزمان، وتبدّل الأحوال.

وأرى أنَّ الأطعمة لا تدخل في الترف؛ لأنَّ أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى، إلا المبالغة في ذلك فإنّها من الإسراف المنهي عنه في عمومات الشريعة.

### خواطر حول التلبية

٢٠- التلبية هي أعظم عنوان للحج، وأفضل شعار له

لو طلب منا أن نختار عنواناً لفريضة الحج، وشعاراً موحداً له لكان أعظم عنوان، وأفضل شعار يمكن أن يختار هو: لبيك... .



فلو تعمق الإنسان في معنى هذا الشعار، وعائشه  
واقعاً وفكراً وسلوكاً لكان الرجل الأحسن عند الله  
وعند الناس.

## ٢١ - لبّ يا ابن آدم اختياراً قبل أن تلبّي اضطراراً

يوم الثامن من ذي الحجة يوم عظيم، وأعظم ما فيه  
عندما تلبس لباس الإحرام، وتخرج من بيتك متوجهاً إلى  
مِنَى، في هذه اللحظات تعلن التلبية، فتقول: «لبيك اللهم  
لبيك...» تقول ذلك اختياراً، وأنت في مشهد يشبه إلى  
حد بعيد مشاهد الموت، ذلك المشهد الذي تكفّن فيه، ثم  
تُحمل إلى المقابر، هنا تلبّي نداء الله تعالى، ولكن تلبّيتك في  
هذا المقام اضطراراً.

فلبّ يا ابن آدم في هذه الدنيا اختياراً، قبل أن تلبّي  
نداء الله اضطراراً.



## خواطر حول الكعبة والمسجد الحرام

### ٢٢- أجمل صلاة تؤديها هي الصلاة في البيت الحرام

لأنَّ صلاتك تحقيق لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وذلك عندما قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. فأنت بهذه الصلاة، دخلت في هذه الذرية الطيبة الطاهرة نسبة، إن لم تكن دخلت بها نسباً... فأنعم وأكرم بهذه النسبة الإبراهيمية.

### ٢٣- صعبة الأسرة في الحج والعمرة

#### لها أثر إيماني في حياتهم

اعمل على اصطحاب الأسرة والأولاد إلى الحج والعمرة، فإن لها أثراً عظيماً في نفوسهم وعقولهم،

وتربيتهم تربية إيمانية سليمة رغم مشقته، وهذا باب من أبواب التعاون - تعاون الأسرة على الخير - ويمكن أن يستفاد هذا المعنى بوضوح من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...﴾ [البقرة: ١٢٧]، فهذه الصحبة، وهذا الدعاء سبب من أسباب صلاح الذرية.

## ٢٤ - كل تعب في الوصول إلى ذلك البيت راحة وريحان

كل تعب في الوصول إلى ذلك البيت، وكل تعب يلاقه المسلم في هذا السبيل هو راحة وريحان، قالت لي الوالدة: من الأمثال: «إليّ ما بُشقى ما بلقى».



ورحم الله ابن القيم إذ يقول:

ولما رأَتْ أَبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الَّذِي

قَلُوبُ الْوَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ تَضَرَّمُ

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْصَبُوا قَطُّ قَبْلَهُ

لَأَنَّ شَقَاهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمْ

فَلِلَّهِ كَمِ مِنْ عَبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ

وَأُخْرَى عَلَى آثَارِهَا لَا تَقْدَمُ

٢٥ - ما شعورك وأنت تدخل المسجد الحرام؟

دخولك المسجد الحرام في حج، أو عمرة، يصاحبه

شعور لا يشابهه شعور في أي دخول آخر مهما كان عظيماً،

وله لذة لا تشبهها لذة من لذات الحياة الدنيا، وهذا

مصدقاَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْحَجَّاجُ وَالْعَمَّارُ، وَفَدُّ اللَّهِ،  
دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»<sup>(١)</sup>.

فَأَنْتَ مِنْ وَفَدِ اللَّهِ، وَوَأَفِدِ عَلَى رَبِّكَ كَرِيمٍ، فَأَيُّ تَكْرِيمٍ  
يَفُوقُ هَذِهِ الْوَفَادَةَ. وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكَ  
فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَضِيلَةٌ، لِأَنَّهَا كُنْيَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْقُرْبِ مِنْ  
الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِأَنَّ أَفْضَلَ الْوَفْدِ مَنْ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِمْ.

وَرَحِمَ اللَّهُ ابْنَ رَشِيدٍ إِذْ يَقُولُ:

وَمَا زَالَ وَفَدُ اللَّهِ يَقْصِدُ مَكَّةَ

إِلَى أَنْ بَدَأَ الْبَيْتَ الْعَتِيقُ وَرَكَنَاهُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ (١١٥٣) عَنْ جَابِرٍ، وَقَالَ الدِّمِيَاطِيُّ فِي  
الْمُتَجَرِّعِ الرَّابِعِ (ص: ٣٠١) «بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ». وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ  
فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٣/ ٤٨٤): «وَرَجَالُهُ ثِقَاتٌ». وَهُوَ شَاهِدٌ  
عَنْ ابْنِ عَمْرٍو عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ (٢٨٩٣) بِلَفْظٍ: «الْغَازِي فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ وَفَدُّ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ  
فَأَعْطَاهُمْ». وَسَنَدُهُ حَسَنٌ فِي الشُّوَاهِدِ.

فَضَّجَتْ ضَيُوفُ اللَّهِ بِالذِّكْرِ وَالذُّعَا  
وَكَبَّرَتْ الْحِجَا حِينَ رَأَيْنَاهُ  
وَقَدْ كَادَتْ الْأَرْوَاحُ تَزْهُقُ فَرِحَةً  
لَمَّا نَحْنُ مِنْ عَظْمِ السَّرُورِ وَجَدْنَاهُ

فادع - إذا شئت - وأنت تبصر البيت بهذه  
الدعوات: «اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً  
ومهابةً. وزد من عظمته ممن حجَّه واعتمره تشريفاً وتكريماً  
ومهابةً وتعظيماً وبراً».

## ٢٦- صلاة المغرب في المسجد الحرام بعد المطر

صليت المغرب في المسجد الحرام، وكان الغيث  
ينهمر، فقرأ الإمام في الركعة الأولى قوله تعالى: ﴿الْمَرْتَرُ  
أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً

إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾ [الحج: ٦٣-٦٤].  
وقرأ في الثانية قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ  
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾  
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [الشورى:  
٢٨-٢٩]. فكان وقع الآيات في النفوس عظيماً، وقلت في  
نفسي: ما أعظم سماع الآيات عند مناسباتها!.

### ٢٧- إذا تعسر عليك أمر مهم فزر البيت العتيق

إذا تعسر عليك أمر مهم في دينك، أو دنياك، فزر  
البيت العتيق في حج، أو عمرة، وادعُ الله؛ فإن ذلك مجرب  
في نجاح الأمور، وبركة الأعمال، أليس قد قال الله تعالى:  
﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا...﴾.

## ٢٨ - تعلمت درساً من عمّال النظافة في المسجد الحرام

شاهدت عمّال النظافة في المسجد الحرام، فتعلمت منهم درساً عظيماً، شاهدتهم في الحرم وهم يترأضون في أداء مهامهم بهمة ونشاط، تعلقو وجوههم البسمة، ويملاً قلوبهم الفرح، وذلك لأنّ باعثهم في عملهم المحبة، فقلت في نفسي: شتان بين العبادة التي تؤدى بباعث المحبة، وبين العبادة الخالية منها.

العبادة التي تؤدى بباعث المحبة تؤدى بفرح ونشاط. والعبادة الخالية منها ظاهر فيها التكاثر والملل، وقد حدثنا الحق تعالى عن المنافقين، فقال: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى...﴾ [النساء: ١٤٢].



بينما سيد الأنبياء ﷺ يقول: «... وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>. ويقول: «أقم الصلاة، أرحنا بها يا بلال»<sup>(٢)</sup>.

## خواطر حول الطواف

### ٢٩- ما أجمل الطواف والسعي مع الوالدة والزوجة والولد

ما أجمل الطواف والسعي مع الوالدة، والزوجة، والولد، ففيها من معاني العبودية لله تعالى أنك تقول: يا ربّ جئتك أنا وأهلي، وقصدناك فلا تخيّبنا... ووقفنا على أعتابك فلا تردّنا. إنّ دخولك على الملك مع بعض أهلك، لاسيما الوالدة والولد أنفع في حصول المطلوب،

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٣ / ٢١) (١٤٣٧) والنسائي ٦١ / ٧، والضياء في «المختارة» (١٧٣٦) وقال الشيخ شعيب: «إسناده حسن، رجاله ثقات».

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، برقم (٤٩٨٥) وإسناده صحيح.

وتحقيق المرغوب.. كُنَّا نطوف ونحن نتذكر كلمة قالها  
الصحابي الجليل عبد الله بن عمر لعروة بن الزبير - وقد  
خطب إليه ابنته - فلم يكلمه: «إِنَّكَ كَلِمَتِي فِي الطَّوَّافِ  
بِهَا كَلِمَتِي، وَإِنَّا كُنَّا نَتَرَاءَى اللَّهَ بَيْنَ أَعْيُنِنَا..»<sup>(١)</sup>.

ورحم الله ابن رشيد البغدادي إذ يقول:

فيا شوقنا نحو الطواف وطيبه

فذلك شوقٌ لا يُحاطُ بمعناه

فمن لم يذقه لم يذق قطُّ لذة

فدقةُ تذوقِ يا صاحٍ ما قد أذقناه

---

(١) ثم زوجه بعد ذلك في المدينة. هذا الخبر رواه ابن سعد في  
الطبقات الكبير ١٥٦/٤. قال ابن بطال في شرح صحيح  
البخاري (٤/ ٣٠١): «والذي سأل عروة باب من أبواب  
المباح، فأبى ابن عمر أن يجيبه تعظيماً لله تعالى إذ هو طائف  
ببيته الحرام».

### ٣٠- من حكم الاضطباع والرمل

الاضطباع والرمل<sup>(١)</sup>: مظهران من مظاهر النشاط واليقظة في الخدمة، فشتان بين خادم كسول متثاقل في أداء مهامه وما يطلب منه، وبين خادم مشمّر، نشيط، فرح، محب للخدمة، مسرور بما يطلب منه، يؤديه بنشاط وحماس.

### ٣١- أجمل طواف

لاحظت أن أجمل طواف حول الكعبة هو طواف بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب تدعو فيه بدعاء النبي ﷺ وأذكاره في الصباح والمساء...

(١) الاضطباع: بقاء الكتف الأيمن مكشوفاً في كل طواف بعده سعي. والرمل: معناه إسراع المشي مع تقارب الخطأ، وهز الكتفين من غير وثب. ويسن في كل طواف بعده سعي عند الجمهور في ثلاثة أشواط كاملة للرجال.

## ٣٢- خاطرة حول زمزم

ماء زمزم ماء مبارك، له فضائل كثيرة، فمنها: أنه خير ماء على وجه الأرض، وأنه طعام طعم، وشفاء سقم، كما ورد في السنة النبوية، وهو عين من عيون الجنة، ومن الآيات البيّنات في حرم الله، وصدق من قال:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً

وأضحى ويهنّاني هناك مقيلاً

وهل أرددنُّ من حوضِ زمزم شربةً

تُميتُ سقامي فالفؤادُ عليلٌ<sup>(١)</sup>

وقد شربت ماء زمزم في هذه السنة بنية أن يوفقني الله  
لحسن التصنيف، وأن يرزقني الإخلاص فيه، وأن ينفعني

(١) للشاعر محمد العُليّف (ت ٨١٠هـ)



به في الدنيا والآخرة. تصديقاً لما جاء عن جابر بن عبد الله  
قال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»<sup>(١)</sup>.

### خواطر حول السعي

#### ٣٣- ما أعظم سعي الأم على ولدها

ما أعظم سعي الأم على ولدها، فإنَّ صدق سعي  
هاجر على ولدها إسماعيل، وتحرقها في سبيل أن تسقيه

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣/ ١٤٠ (١٤٨٤٩) وابن ماجه،  
كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، برقم (٣٠٦٢)،  
وصححه عدد من المحدثين، منهم: الحاكم في مستدرکه  
١/ ٦٤٦، والمنذري في الترغيب والترهيب، برقم (١٧٥٧)،  
وحسنه الدميّاطي في المتجر الرابع ص ٨٩٦، وابن القيم في  
زاد المعاد ٤/ ٣٩٣، وابن حجر في جزء عن هذا الحديث  
ص ٢٧٠، والسيوطي في الدرر المنتشرة (٣٥٨) والألباني في  
السلسلة الصحيحة (٨٨٣).

شربة ماء، وطلبها من الله ذلك: لحظات صادقة رفعت إلى  
الملا الأعلى، وتقبلها الحق تعالى بقبول حسن.

تلك اللحظات المهمة من تاريخ علاقة الأم بوليدها  
أصبحت منارة يهتدى بها إلى يوم القيامة، وشعيرة يقوم بها  
كل مسلم، ويتمثلها، ويعيشها ويعايشها....

إنَّ الصدق في طلب تلك الشربة كان سبباً في عطاء  
إلهي، وفي سقيا كل من تمثَّل تلك اللحظات الصادقة  
مع الله، وفي إجابة دعائه.

يدل على ذلك حديث ابن عباس، وفيه: أنَّ السعي  
مأخوذ من طواف هاجر أم إسماعيل في طلب الماء، وقول  
النبي ﷺ: «فَدَلِكْ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، برقم (٣٣٦٤).



وقد ثبت الأمر بالسعي في القرآن الكريم، قال تعالى:  
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

وفي السنة النبوية قول النبي ﷺ: «اسْعُوا، فَإِنَّ اللَّهَ  
كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ»<sup>(١)</sup>.

### ٣٤- في كل شعيرة من شعائر الحج نوع صلة بالله تعالى

لاحظت في كل شعيرة من شعائر الحج أن فيها نوع  
صلة بالله تعالى، لو تعمق الإنسان في تحقيقها لنتفعته كثيراً  
في حياته، واليوم لاحظت ذلك عند الهرولة في السعي،  
ففيها - بالإضافة إلى ما قصد بها أولاً - معنى الفرار إلى الله  
تعالى، والهرولة نحوه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥ / ٣٦٣) (٢٧٣٦٧) وقال شعيب:  
«حسن بطرقه وشاهده..».



فعلى الإنسان ألا ينسى هذا المعنى، وهو يسعى في  
هذه الحياة.

ومن الأمثال: الخير في وقته. أي: على الإنسان أن  
يبادر إلى فعل الخير، ولا يؤخر.

### ٣٥- من حكم السعي الشديد بين العمودين الأخضرين

السعي الشديد بين العمودين الأخضرين المنصوبين  
في جدار المسعى، في الأشواط السبعة للرجال، مظهر من  
مظاهر الذل في طلب الحاجة، لاسيما عند الاضطرار،  
فسعيك الشديد سعي الإنسان المكدود المجهود كناية  
عن اضطرارك في طلب حاجتك، ونوع من أنواع الفرار  
إلى الله تعالى في تحصيل المطلوب، ونيل المرغوب. وحركة  
الجسد هنا أعظم تعبير عن هذا الاضطرار.



وهذا يعلمنا صدق الالتجاء إلى الله تعالى، والتوسل إليه، ويبشّرنا إذا كنا صادقين بالقبول، ألم يقل الله تعالى:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢].

وكأنّ لسان حالك يقول: يا ربّ، ويا مولاي، ويا مَنْ أَجِبْتَ هَاجِرَ فِي حَالَةِ اضْطِرَارِهَا، أَجِبْ اضْطِرَارِي فِي مَغْفَرَةِ ذُنُوبِي، واجعلني من المقبولين عندك في عبادك الصالحين.

### ٣٦- السعي يعلمنا صدق التوجه

وشيء آخر نتعلمه من السعي، وهو أنّ صدق التوجه والطلب في كل مجهوداتك وأمورك، أيها الإنسان، مؤذن بتحقيق مقاصدك وغاياتك.



## خواطر حول يوم عرفة

### ٣٧- أجمل يوم في حياتك هو يوم الوقوف في عرفة

أجمل يوم في حياتك هو يوم الوقوف في عرفة، يوم  
الوقوف على الأبواب.

هو يوم المغفرة، يدنو فيه رب العزة من عباده، ويباهي  
بهم ملائكته. هو من أفضل الأيام التي أخبر عنها النبي  
ﷺ بقوله: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ  
فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ  
وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (10 / 296) (6154) عن ابن  
عمر، وأخرجه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما،  
وقال الدمياطي في المتجر الرابع، ص 318: «رواه الطبراني  
بإسناد جيد».



## ٣٨- لماذا كان الوقوف بجبل عرفة ولم يكن في الحرم

لماذا كان الوقوف بجبل عرفة، وهو مكان في الحِلِّ،

ولم يكن في الحرم، وفي المسجد الحرام حول الكعبة؟

والجواب: أنَّ هذا المنسك مما شرعه الله لعباده على

هذه الصفة، فما على المسلم إلا الانقياد لأمر الله، ولكن

قد ورد أثر يكشف عن الحكمة من ذلك، وهو ما ورد عن

أبي سليمان الداراني، قال: سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ عَنِ الْوُقُوفِ بِالْجَبَلِ وَلِمَ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرَمِ؟.

قال: لِأَنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ، وَالْحَرَمَ بَابُ اللَّهِ، فَلَمَّا

وَقَدُّوهُ وَافْدَيْنَ أَوْقَفَهُمْ بِالْبَابِ يَتَضَرَّعُونَ.

قيل: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَالْوُقُوفُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ؟



قَالَ: لِأَنَّهُمْ لَمَّا أَذِنَ لَهُمْ بِالْدُخُولِ إِلَيْهِ أَوْقَفَهُمْ بِالْحِجَابِ  
الثَّانِي، وَهُوَ مُزْدَلِفَةٌ.

فَلَمَّا أَنْ طَالَ تَصَرُّعُهُمْ أَذِنَ لَهُمْ بِتَقْرِيْبِ قُرْبَانِهِمْ بِمَنَى.  
فَلَمَّا فَضَّوْا تَفَشَّهُمْ، وَقَرَّبُوا قُرْبَانَهُمْ؛ فَطَهَّرُوا بِهَا مِنْ  
الدُّنُوبِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ أَذِنَ لَهُمْ بِالزِّيَارَةِ إِلَيْهِ عَلَى الطَّهَّارَةِ.  
قِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمِنْ أَيْنَ حُرِّمَ الصِّيَامُ فِي أَيَّامِ  
الشَّرِيقِ؟

قَالَ: لِأَنَّ الْقَوْمَ زَارُوا اللَّهَ، وَهُمْ فِي ضِيآفَتِهِ، وَلَا يَجُوزُ  
لِصَيْفٍ أَنْ يَصُومَ دُونَ إِذْنٍ مِنْ أَصَافِهِ.  
قِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَعَلَّقَ الرَّجُلُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ  
لِأَيِّ مَعْنَى هُوَ؟



قَالَ: هُوَ مِثْلُ الرَّجُلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ جِنَايَاتٌ،  
فَيَتَعَلَّقُ بِثَوْبِهِ، وَيَتَصَلُّ إِلَيْهِ - أَيُّ: يَتَضَرَّعُ - لِيَهَبَ  
لَهُ جِنَايَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

### ٣٩- يوم عرفة صورة من صور الحشر

يعيش المسلم في يوم عرفة صورة من صور الحشر  
يوم القيامة، ولا سيما عند الإفاضة إلى مزدلفة، فلا يعرف  
الإنسان إلا نفسه، فتراه مشغولاً بالاستعداد للرحيل.

(١) قال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب: «رواه البيهقي في  
الشعب - (4084) - وغيره هكذا منقطعاً، ورواه أيضاً عن  
ذي النون قوله، وهو عندي أشبه والله أعلم». وأخرجه المزي  
في كتابه تهذيب الكمال في أسماء الرجال (5 / 94) عن الإمام  
جعفر الصادق رضي الله عنه.

## ٤٠ - خاطرة حول مزدلفة

لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من بيان أن يصف هذه المشاهد

وصلنا مزدلفة قبيل الثانية عشرة ليلاً، تطبيقاً لقول الله

تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ

عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ...﴾ [البقرة: ١٩٨].

ومزدلفة هي بحق محطة الإعلان عن ذكر الله.

لاحظت في مقامي فيها أن الإنسان مهما أوتي من بيان،

لا يستطيع أن يصف هذه المشاهد، الملايين من البشر

يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء، كباراً وصغاراً،

رجالاً ونساء، وكل ذلك بحب غامر، وشوق سائق،

وانقياد تام. منفذين أمر الله، ومقتفين أثر سيد الأنبياء

محمد رسول الله ﷺ.



إنَّ مشاهد مزدلفة ما هي إلا مشاهد من الآخرة،  
كأنَّها حشر مصغر يتخلَّى فيها الإنسان عن كل شيء، فلم  
يعد يملك إلا إزاراً، ورداء، وبلغة من طعام يستطيع معها  
المشي والمتابعة...

إنَّ مشاهد مزدلفة عودة إلى الفطرة بكل ما تحمل  
من معاني البساطة، والعفوية. عودة إلى الحقيقة التي  
طالما تنكر لها الإنسان وراء أقنعة مصطنعة، يحاول  
الاختباء خلفها. رفض لكل مظاهر المادية التي  
أرهقت الإنسان، وهو يلهث وراءها دون جدوى.  
فصلى الله عليك يا رسول الله، يا من أرسله الله إنقاذاً  
للإنسان التائه، وتخليصاً له من تيهانه وحيرته ليقف على  
الحقيقة. تلك الحقيقة التي بعثت يا رسول الله من أجل أن  
تعلمنا الوصول إليها، والجهد دونها.



## خواطر حول منى ورمي الجمرات

### ٤١ - صباح منى يوم عرفة أجمل صباح

أجمل صباح هو صباح منى يوم التاسع من ذي الحجة، وقد منَّ الله علينا في هذا العام بتطبيق هذه السنة، ورأيت من بركاتهما وأنوارها ما لا يوصف، وقد صلينا الفجر في مصلى إقامتنا في منى، ثم جلست، فقرأت دعاء النبي ﷺ وأذكاره في الصباح، ثم تناولنا الفطور ثم انطلقنا إلى عرفات. والمبيت في منى هذه الليلة فيه معنى الاستعداد التام، والتهيؤ للوقوف بين يدي الملك، وعلى أبوابه... وجمال تطبيق هذه السنة يكمن في هذا الاستعداد، وكثير من الحملات حرموا الحجَّاج منه؛ عندما تعجَّلوا الصعود إلى عرفة، فضيَّعوا هذا المعنى الجميل.





## ٤٢ - رمي الجمرات والمعركة مع الشيطان

لاحظت وأنا أرمي الجمرات أنَّ المعركة مع الشيطان حقيقية، ولذلك فهي تتطلب استعداداً، وجهداً، وتحضيراً.

ويبدأ من مزدلفة جمع الحصى، وهو يمثل السلاح الذي يُرمى به الشيطان... وإذا كان أمر هذه المعركة تأخذ طابع الجد بصورتها المذكورة فليس من العقل إذن أن نلهو ونلعب في مصارعة هذا الشيطان، وعندها ينقاد الإنسان لحبائله ودسائسه، ويسير متبعاً خطواته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

إنَّ الشيطان له أدواته، وله سلطانه، وله وساوسه، وله نفثاته، وإنَّ نفثه مثل لسعة الدبور، أو لدغة العقرب،



أو لسعة الحية، أو كإبرة تحمل سماً يجري في الإنسان مجرى  
الدم في العروق... وهذه النفثات آثارها الخطيرة في حياتك  
أيها الإنسان، فقد تمتد لساعات، أو أيام، أو سنوات، وقد  
تقضي عليك فتكون من أصحاب السعير، ولا ملجأ من  
شروره ونفته إلا الاعتصام بالله... وفي هذا المعنى قلت:

نفثاتُ الشيطانِ في المرءِ تسري

سريانَ الأرواحِ في الأجسادِ

لسعاتُ لا يستطيعُ فكاًكاً

من أذاها إلفتي العبادِ

ورمي الجمرات فيها هذه التربية، وهذا التعليم في  
هذه المعركة الفاصلة مع الشيطان، وهي لا يمكن أن تفهم  
إلا بالنبوات التي تعصم الإنسان في دنياه وآخرته.

وتكراره في يومين أو ثلاثة تأكيد لهذه المعاني  
في النفوس، وترسيخ لأصول المعركة الكبرى مع  
العدو الأكبر.

وأما التفاصيل المتعلقة بهذه الشعيرة؛ من أمر  
المبيت، ومن توقيته ففيها متسع كما هو واضح في  
تفصيلات الفقهاء.

### ٤٣ - ليالي منى وصباحاتها من أجمل أزمنة الحياة

ليالي منى وصباحاتها من أجمل أزمنة الحياة، ففي يوم  
السبت الحادي عشر من ذي الحجة، ١٤٣٣ هـ، استيقظت  
سحراً، ثم صليت الفجر في مصلى إقامتنا، ثم نزلت إلى  
الاستراحة الخارجية المطلة على منى، وأكملت أذكاري

وأدعيتي الصباحية. كان الجو جميلاً، وكان الهواء عليلاً،  
وتذكرت قول العارف البرعي:

يا راحلين إلى منى بقيادي  
هيّجتُم يوم الرحيل فؤادي  
سرُّتم وسار دليلكم يا وْحشتي  
الشوقُ أقلقني، وصوتُ الحادي

صباحات منى جميلة، فأنت تقيم في شبه واد، والجبال  
تحيط بك، وكنا نطل على الجمرات، حيث كانت على  
اليمين، وأمامنا مسجد الخيف الذي نزل فيه رسول الله ﷺ  
والنبيون قبله، قال ﷺ: «صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ  
نَبِيًّا، مِنْهُمْ مُوسَى كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ عِبَاءُ تَانٍ...»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، (5407). وقال المنذري في  
الترغيب والترهيب (1693): «رواه الطبراني في الأوسط،  
وإسناده حسن».



مكان مبارك منور، وتطبيق السنة له فوائد وبركات،  
لا ينالها إلا من أقامها، فيا خسارة المحرومين!

وفي منى تشاهد تأثير الكلمة النبوية في الملايين من  
الحجاج الذين طبقوا سنة المبيت في منى اقتداءً بالنبي ﷺ.  
المشهد الذي رأيناه هذه الليلة كالمشهد في مزدلفة،  
الناس تفترش الأرض، وتلتحف السماء غير عابئين بمن  
حولهم، وما يتعرضون له، لا ترى ساخطاً، ولا متأففاً  
رغم قساوة الأحوال التي يتعرضون لها، وحسبهم أنهم  
يسيرون على خطا الرسول ﷺ، متأسين بأفعاله، مطبقين  
سنته، كل ذلك بحب غامر، وانقياد تام. وهناك رخص  
كان بوسعهم أن يأخذوا بها، لكنهم أبوا إلا التطبيق الكامل  
لما ورد عن النبي ﷺ الذي قال: «خذوا عني مناسككم».

فيا عجباً! كم كان تأثير هذه الكلمة النبوية قوياً في نفوسهم! وكيف فعلت فعلها في قلوبهم؟ فجعلت هذه الملايين يقومون بتطبيقها مهما كلفهم ذلك من ثمن، ومهما تعرضوا له من متاعب ومصاعب.

إنَّ عدد الحجيج، بحسب ما صرح به أمير مكة المكرمة، رئيس اللجنة المركزية للحج، قد بلغ ٣,٦٥٧,٠٠٠ حاج، وإذا رمى كل واحد منهم على أقل تقدير تسعة وأربعين حصاة، سيكون العدد ١٩٣,٠٠٠,١٤٩ حصاة، هذا لمن تعجل.

وعلى أكثر تقدير سبعين حصاة، فيكون العدد ٩٩,٠٠٠,٢٥٥ حصاة هذا لمن تأخر، إنَّ الشيطان قد رجم خلال هذه الأيام بهذا العدد الكبير من الملايين، قام به حجاج بيت الله مهللين، ومكبرين مع كل حصاة يصيرون بها الشاخص.



وأما أن الرمي للشيطان ففيه حديث ابن عباس رفعه  
إلى النبي ﷺ، قال: «لَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلَ اللَّهِ الْمَنَاسِكَ  
عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ جُمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ،  
حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ.

ثُمَّ عَرَضَ لَهُ، عِنْدَ الْجُمْرَةِ الثَّانِيَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ  
حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ.

ثُمَّ عَرَضَ لَهُ، عِنْدَ الْجُمْرَةِ الثَّلَاثَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ  
حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الشَّيْطَانُ  
تَرَجُّمُونَ، وَمِلَّةٌ أَبِيكُمْ تَتَّبِعُونَ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (١١٤٠)، والحاكم ١/١٦٦،  
واللفظ له، وقال صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي،  
والمنذري في الترغيب والترهيب. برقم (١٧٤٧).



#### ٤٤ - يصعب على العقل البشري استيعاب كل حكم الحج

بعد التفكير والتأمل في الحكم المستفادة من الحج، وبعد جولة في منى في ليلة من لياليها المباركة توصلت إلى أنه يصعب على العقل البشري استيعاب جميع الحكم المستفادة من هذه الفريضة العظيمة، والمسلمون مطالبون في كل عصر بالتفكير في أسرارها، والتأمل في معانيها وحكمها فهم سيجدون لا محالة حكماً يمكن استنباطها، وصدق الله تعالى عندما قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۗ...﴾ [آل عمران: ٩٦].

#### ٤٥ - خاطرة حول حلق الشعر أو تقصيره

لاحظت في قص الشعر، أو حلقه معنى هو: أن تقول: اللهم هذا رأسي بين يديك فافعل فيه ما تشاء، والرأس كناية عن كل الجسد لأنه أعظم عضو فيه.





## خواطر حول حكم الحج وفوائده

٦٤- الإحساس بنعمة الثياب بعد نزع ملابس الإحرام.

٤٧- الإحساس بنعمة السكن في البيوت والمنازل، بعد الإفاضة من عرفات، والانتهاء من المبيت في منى.

٤٨- الإحساس بنعمة الاجتماع بالأهل والأسرة بعد التفرد في أداء المناسك.

٤٩- ملاحظة أثر صلة الأسرة المسلمة بالله وتعلقها به، وتوكلها عليه من خلال مناسك الحج التي سننها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

٥٠- الحج هو دورة تدريبية يتعلم فيها الإنسان درس التجرد، والقدرة على التعايش مع ظروف الحياة الصعبة.

٥١- ويتعلم المسلم درساً في الابتعاد عن متع الحياة التي يصعب على النفس الانفكاك منها، والعيش بدونها، والعودة إلى حياة الفطرة.

٥٢- الحج هو دورة تأهيلية، يتعلم فيها المسلم أساليب التغيير، وبذلك تتجدد حياته، وتفكيره، وأنماط سلوكه، ومعيشتة. ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَنْفُسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(١)</sup>.

### ٥٣- الحج ومعرفة الحق عند الأزمات والفتن

الحج مقياس دقيق نستطيع أن نتعرّف من خلاله إلى الحق، أو الباطل في الأزمات والفتن التي تتعرض لها الأمة، وبيانه: أنه ما من حادث يحدث في بلاد المسلمين

(١) تقدم تخريجه.



إلا ورأيته أصبح حديث الناس، على اختلاف أعراقهم،  
وبلدانهم، ومحل دعائهم.

٥٤- اصطحاب الأبناء في الحج غاية في الأهمية،  
وله أثر في نفوسهم وعقولهم، ومستقبل حياتهم، وفي  
دينهم وديناهم، وبيان ذلك أن كثيراً من أعمال الحج التي  
تؤديها كان قد قام بها وسنها إبراهيم مع ابنه إسماعيل  
عليهما السلام.

### خواطر حول المدينة المنورة

#### ٥٥- خاطرة مدنية

من أجمل الصلوات التي تؤديها صلاة في المسجد النبوي:

وذلك لأنك تشعر بالقرب الحقيقي من النبي ﷺ  
عندما تسلم عليه بقولك: السلام عليك أيها النبي  
ورحمة الله وبركاته... تقول ذلك، وأنت قريب منه.

وصلة المسلم بالنبي ﷺ صلة متينة، لا تضاهيها صلاة، والأمم الأخرى فقدت هذه الصلة بأبيائها؛ لأسباب يطول شرحها. أما نحن المسلمون فإننا على يقين تام أن البقعة التي دفن فيها النبي ﷺ هي ذاتها، دلت على ذلك الشواهد التاريخية، والأخبار المتواترة التي لا تشوبها شائبة.

بينما حُرِّم من ذلك اليهود لأنهم لا علم لهم بالمكان الذي دفن فيه موسى عليه السلام.

وحُرِّم من ذلك النصارى أيضاً، بل اختلط عليهم الأمر اختلاطاً عظيماً، فهم قد زعموا أن اليهود صلبوه، ولكن أين قبره إذن؟ ثم تناقضوا، فقالوا هو ابن الله، وإذا كان ابن الله فكيف يتمكنون من قتله؟! تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

والحق أخبرنا بالحقيقة عندما قال: ﴿وَمَا فَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

وأكرم الله تعالى المسلمين فحافظوا على قبر نبيهم ﷺ؛ فهم يسلمون عليه، وهو بأبي وأمي يردُّ السلام على من يسلم عليه، دليل ذلك ما جاء عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا إِلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»<sup>(١)</sup>. ولم يغلوا فيتخذوه عيداً.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٧٧ / ١٦) (١٠٨١٥) وأبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم (٢٠٤١) وقال النووي في خلاصة الأحكام (١ / ٤٤١): «بإسناد صحيح». وقال ابن الملقن في البدر المنير (٥ / ٢٩٠): «بإسناد جيد»، وقال العراقي في تخريج الإحياء (١ / ٢٧٩): «سنده جيد». وقال ابن حجر في الفتح (٦ / ٢٧٩): «رجال ثقاة»، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٣٣٨).

وحافظوا على مسجده، فهم يصلون فيه، لأنه عليه الصلاة والسلام رغبهم في ذلك عندما قال: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»<sup>(١)</sup>.

وحافظوا على مدينته، فهي من أحبّ المدن إلى قلوبهم، وأجمل لحظات العمر تلك اللحظات التي يعيشها المسلم قريباً منه، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، أليس قد جاء عنه أنّه قال: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرُزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، برقم (١١٩٠) ومسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، برقم (١٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة (١٨٧٦) ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن =

## ٥٦ - خاطرة مدنية

أجمل الأوقات في الروضة، وأنت تدعو بدعاء الحبيب ﷺ

أجمل الأوقات تلك الأوقات التي تقضيها، وأنت  
تقرأ دعاء النبي ﷺ وأذكاره في الصباح والمساء، قريباً  
من الأماكن التي كان النبي ﷺ يدعو فيها ربه، ويذكره.  
هنا تناسب من لسانك تلك الدعوات والأذكار التي  
كان رسول الله ﷺ يدعو بها، وفي نفس الأماكن التي كان  
رسول الله ﷺ جالساً فيها. ويزداد الأمر جمالاً عندما  
تشعر أن صاحب هذه الدعوات والأذكار هو بقربك  
يقيناً، لا يبعد عنك سوى أمتار معدودة.

= الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يآرز بين المسجدين،  
برقم (١٤٦) ومعنى يآرز: أي: ينضم أهله ويجتمعون.  
ومعنى جحرها: أي: مسكنها الذي تأمن فيه وتستقر.



وقد منَّ اللهُ عليَّ في هذه الليلة؛ فقرأت أدعية المساء  
بعد صلاة المغرب في الروضة عند محراب النبي ﷺ.  
فما أجمل تلك الدعوات، وما أجمل ذلك الزمان، وما  
أجمل ذلك المكان.

حقاً أنت في روضة من رياض الجنة، كما أخبر  
النبي ﷺ عندما قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي، رَوْضَةٌ مِنْ  
رِيَاضِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

## ٥٧ - خاطرة مكية

### تأثير كلمات النبوة في العالم

سألني سائل فقال: كيف نقنع الناس في هذا العصر  
بأنَّ محمداً رسول الله؟

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب رقم ١٢،  
برقم (١٨٨٨) ومسلم كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر  
روضة من رياض الجنة، برقم (١٣٩١).



فقلت له: معجزة رسول الله ﷺ الباقية هي القرآن،  
وما فيه من وجوه الإعجاز البياني، والغيبى، والتشريعي،  
والعلمي، والتأثيري...

إنَّ ما أحدثه هذا القرآن من تأثير في العالم يحتاج إلى  
دراسات معمقة للكشف عن بيانه، وقياس آثاره في جميع  
المجالات العلمية والعملية.

ثم بيان المعجزات الحسية التي وقعت للنبي ﷺ،  
ونقلت إلينا بأدق وسائل النقل التي توصل إليها العقل  
البشري، وأوثقه.

فقال لي: هذا جميل، ولكن هل من معجزات  
أخرى تزيد المؤمنين إيماناً مع إيمانهم، وتقنع المترددين،  
وغير المسلمين بنبوة هذا النبي ﷺ لاسيما أنهم لم

يروا تلك المعجزات الحسية، ولم يؤهلوا بعد لقبول  
هذه الروايات رغم صحتها، ونقلها بالتواتر من  
حيث العموم؟

فكّرت طويلاً بهذا السؤال، ثم خطرت لي معنى جديد  
للمعجزات النبوية يمكن أن تقنع هؤلاء، وخلاصة  
ذلك يُجلى في:

أولاً: تأثير الكلمات النبوية في النفوس والعقول  
تأثيراً عظيماً، وتجليات تأثيره واضحة كل الوضوح في  
العالم، وهو ظاهرة من ظواهر معجزاته ﷺ السارية في كل  
زمان ومكان. هذا التأثير البين ظهر في مجموعات كبيرة  
من البشر على امتداد الزمان، وتفرق الأوطان والبلدان،  
واختلاف الأجناس والأعراق.

أنا أفهم أن يحدث رجل مهما كان كبيراً عظيماً أثراً في واحد، أو اثنين، أو مجموعة صغيرة أو حتى كبيرة، أما أن يكون هذا التأثير، بهذا العمق، وهذا الشمول، وأن يظهر في كل مفردات الحياة، وأن يكون التنفيذ بدافع الحب الغامر، فهذا لم يحدث في تاريخ أي إنسان في العالم، وسيأتي التدليل على ذلك.

خطر لي هذا المعنى، وأنا أطوف حول الكعبة<sup>(١)</sup> في البيت الحرام، كنت أقرأ هذه المعاني في وجوه الناس رجالاً ونساءً وأطفالاً على مختلف أصنافهم، وأعراقهم، ولغاتهم.

(١) كان ذلك في أداء العمرة أيام الخميس والجمعة والسبت ٥-٧/٤/٢٠١٢ ثم كتبت أهم هذه الخواطر فجر يوم الاثنين ٩/٤/٢٠١٢ في المسجد النبوي.

ثم رأيت هذه المعاني بصورة، لا تقل عن الصورة الأولى، وأنا واقف أمام الحجرة النبوية، قرب عمود، كنت أتصفح الوجوه، وأسمع اللهجات، واللكنات، وأعين العبرات وهي تذرف بسخاء. كان الشعار في مكة: لبيك اللهم لبيك. وكان الشعار في المدينة: السلام عليك يا رسول الله. وهنا خاطبت النبي ﷺ قائلاً: صلى الله عليك يا رسول الله، كم كان تأثيرك هائلاً مدوياً في العالم. جزاك الله عنا كل خير يا رسول الله، بما سننت من سنن، ووضحت من مناهج، وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

إنَّ علماء النفس، وعلماء التربية، وعلماء الاجتماع، وعلماء الاقتصاد مدعوون لتوضيح هذا التأثير ودراسته،

والكشف عن أسرارهِ. وأظن، بل أعتقد اعتقاداً جازماً أنّ الجواب المقنع عن سر هذا التأثير الفريد، هي كلمة قالها عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب لأبي سفيان يوم فتح مكة: «يا أبا سفيان إنها النبوة»<sup>(١)</sup>؛ مما يدل على فقه العباس رضي الله عنه وفهمه، وإدراكه، واستدلّاله على نبوة محمد ﷺ بالتأثير الذي أحدثه في نفوس أتباعه وعقولهم.

إنّ هذا التأثير العظيم لكلمات النبوة في العالم تراه واضحاً في التفاني في تطبيق كثير من الشرائع والشعائر التي سنّها خاتم النبيين محمد ﷺ.

(١) وذلك عندما قال أبو سفيان: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أختك الغداة عظيماً، فقال له العباس: «يا أبا سفيان إنها النبوة»، قال: نعم إذاً. رواه الطبراني في الكبير رقم (٧٢٦٤) وقال ابن حجر في المطالب العالية (٤٣٠١): «هذا حديث صحيح»، وأخرجه الضياء في المختارة (٣٨٩١).

ولعل أقرب صورة توضح ذلك، وتدل عليه تنفيذ أمره ﷺ، وتوجيهاته التي وجّه أمته إليها، والإرشادات التي نصحهم بها، وهي كثيرة جداً.

ولعل من أبرزها: ما كانت هذه الفكرة التي أتكلم عنها من وحيها، وهي:

أداء العمرة، والاستمرار في أدائها بغير انقطاع تنفيذاً لكلمة قالها النبي ﷺ وهي: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمُبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، برقم (٨١٠) وقال: «حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود».



إنَّ هذا التطبيق لهذه الشعيرة في كل أيام السنة ولياليها، بهذا الكم الهائل الذي تجاوز الملايين، وبدافع الحب الغامر، وبذل الأموال، وترك الأعمال، ومغادرة الأوطان، وفراق الأهل والأصحاب والخلان، ليس له من تفسير إلا مدى تأثير كلمات النبوة الهادية في النفوس والقلوب. وهذا بحد ذاته معجزة من معجزات هذا النبي ﷺ السارية في كل زمان ومكان.

ثانياً: جذوة الإيمان والحب التي لم تنطفئ في قلوب أتباعه:

وقد عبّرت عن نفسها بمكتبة ضخمة جداً في الحديث عنه، شعراً ونثراً، ولا يعرف حدوث ذلك لرجل آخر في

العالم، وهذا التأثير الهائل كان مصداقاً لقول النبي ﷺ:  
« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده،  
والناسِ أجمعين »<sup>(١)</sup>. ودراسة ذلك، وإحصاؤه، واجب  
هذا العصر.

### ثالثاً: أعجوبة التوحيد:

إنَّ أعجب شيء في هذه الأمة أنَّ نبيها عليه  
الصلاة والسلام استطاع أن يوحد القلوب، وأن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من  
الإيمان، برقم (١٥) ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب  
محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد، برقم  
(٤٤) عن أنس. وفي رواية عند النسائي: «... أحبَّ إليه من  
ماله وأهله، والناس أجمعين» وفي حديث عبد الله بن هشام  
عند البخاري (٦٦٣٢) قول النبي ﷺ لعمر: لا والذي نفسي  
بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك...».



يوحّد المشاعر، وأن يوحّد العادات اليومية، ومفردات الحياة في الطعام والشراب، وفي اللباس، وفي اللقاء والسلام، وفي العادات الاجتماعية، وفي الأساليب الغذائية، فضلاً عن توحيدهم في العبادات، وعدم الابتداع فيها، بالزيادة عليها، أو النقصان منها، وهذا معجزة من معجزات هذا النبي ﷺ السارية في كل زمان ومكان.

إنّ النبي ﷺ حاضر فينا: بتعاليمه وهديه، والمبادئ التي أرساها، والسنن التي سنّها، فالمحافظة على هذه السنن هي محافظة على هذا التوحيد، وهي محافظة على هذه المعجزة السارية في العالم.



## خواطر عامة

### ٥٨- اكتشفت في عدد الحجاج وتنوعهم

أنَّ العرب يملكون عمقاً استراتيجياً في كافة أطراف المعمورة، وأنَّ هذه الشعوب المؤمنة بالإسلام يمكن الاستفادة منها في تأييد قضايا الأمة، وتشكيل رأي عام عالمي لما نطمح إليه، ونصبو إلى تحقيقه، فهم نعم الظهير، ونعم النصير، لكن العرب غائبون، أو مغيبون عن هذه المعاني التي تحملها هذه الفريضة العظيمة في ديننا.

### ٥٩- خاطرة حول شبكة الاتصالات وسر القدر

تأملت في شبكة الاتصالات، والدقة المتناهية التي تحكمها. هناك ملايين العمليات التي تجري من

المشتركين فلا تلاحظ فيها اضطراباً، ولا اختلاطاً، يتم تسجيل كل مكاملة بدقة متناهية سواء أجريتها في بلد الشركة أم كانت خارجها.. إنها عملية معقدة بحق، ولكن التطور العلمي جعل من السهل رصد ما يجري في هذه الشبكة، فكيف الحال إذا تأملت في كل شبكات الاتصالات في الأرض المرتبطة بقمر صناعي واحد!! وكل هذا من صنع عقل الإنسان، وقد تكون هذه البرمجة ظالمة، وقد تكون عادلة، لكن الأقدار الإلهية منزهة عن العبث والظلم والغفلة والنسيان، فهي كلها حكمة، وكلها عدل، وكلها مصلحة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].



لعل هذا المثال يسهل عليك الإيمان بأقدار الله خيرها  
وشرها، فهو تعالى يدبر ما لا يحصى من أوامر تكوينية في  
هذا الكون الواسع!

### ٦٠- رجل يحمل أمه في الحج براً بها

رأيت رجلاً يحمل أمه فوق كتفيه، وهو خارج  
من المروة، فهزني هذا الموقف في علاقة الولد مع  
والدته وبرّه بها.



## الْحَاتِمَةُ

### الحنين إلى مكة

ويجلولي أن أختم هذه الخواطر ببعض القصائد  
الشعرية عبّر فيها أصحابها عن شوقهم وحنينهم  
وتعلقهم بتلك البقاع الشريفة، لا سيما في اللحظات  
الأخيرة، وهي:

٦١ - ألم الفراق<sup>(١)</sup>

وَبَاتَ حَجِيجُ اللَّهِ بِالْبَيْتِ مُحْدِقًا  
وَرَحْمَةُ رَبِّ الْعَرْشِ ثَمَّتَ تَعْشَاهُ  
تَدَاعَتْ رِفَاقًا بِالرَّحِيلِ فَمَا تَرَى  
سَوَى دَمْعِ عَيْنٍ بِالدَّمَاءِ مَزَجْنَاهُ

(١) للإمام ابن رُشيد البغدادي، من قصيدته الذهبية.

لِفُرْقَةِ بَيْتِ اللَّهِ وَالْحَجَرِ الَّذِي  
لَأَجْلِهَا صَعِبَ الْأُمُورَ سَلَكَنَاهُ  
فَلِلَّهِ كَمْ بَاكٍ وَصَاحِبِ حَسْرَةٍ  
يَوَدُّ بَأْنَ اللَّهِ كَانَ تَوَفَّاهُ  
فَلَوْ تَشْهَدُ التَّوَدِّيعَ يَوْمًا لِبَيْتِهِ  
فَإِنَّ فِرَاقَ الْبَيْتِ مُرٌّ وَجَدْنَاهُ  
فَمَا فُرْقَةُ الْأَوْلَادِ وَاللَّهِ إِنَّهُ  
أَمْرٌ وَأَذْهَى ذَاكَ شَيْءٌ خَبَرْنَاهُ  
لَقَدْ صُدِّعَتْ أَكْبَادُنَا وَقُلُوبُنَا  
لَمَّا نَحْنُ مِنْ مُرِّ الْفِرَاقِ شَرِبْنَاهُ

٦٢ - أشواق المحبين<sup>(١)</sup>

وَلَمَّا تَقَضَّوْا مِنْ مَنِيَّ كُلِّ حَاجَةٍ

وَسَالَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْبِطَاحُ تَقَدَّمُوا

إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَشِيَّةً

وَطَافُوا بِهَا سَبْعًا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا

وَلَمَّا ذُنَا التَّوْدِيْعُ مِنْهُمْ وَأَيَّقُنُوا

بَأَنَّ التَّدَانِي حَبْلُهُ مُتَصَرِّمٌ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةٌ لِمُودِّعٍ

فَلِلَّهِ أَجْفَانٌ هُنَاكَ تُسَجِّمُ

وَلِلَّهِ أَكْبَادٌ هُنَاكَ أُوْدِعَ الْ

غْرَامُ بِهَا فَالنَّارُ فِيهَا تَضْرَمُ

(١) للإمام ابن قيم الجوزية في قصيدته الميمية المشهورة.



ولله أنفاسٌ يكادُ بحرِّها  
يذوبُ المحبُّ المُستَهَامُ المُتِيْمُ  
فلم ترَ إلا باهتاً مُتَحَيِّراً  
وآخر يُبدي شجوهَ يترنمُ  
رَحَلْتُ وَأَشواقِي إليكم مُقِيمَةً  
ونارُ الأسيِّ مِنِّي تَشُبُّ وتَضْرُمُ  
أودِّعُكُمْ والشوقُ يُثني أَعْتِي  
وقلبي أَمْسَى في حِمَاكُمْ مُخَيِّمُ  
هناكَ لا تُثريبَ يوماً على امرئٍ  
إذا ما بدأ منه الذي كان يَكْتُمُ



يَا سَائِقِينَ الْعَيْسَ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ  
 قِفُوا لِي عَلَى تِلْكَ الرُّبُوعِ وَسَلِّمُوا  
 وَقُولُوا حُبُّ قَادِهِ الشُّوقُ نَحْوَكُمْ  
 قَضَى نَحْبَهُ فَيْكُمْ تَعِيشُوا وَتَسْلُمُوا  
 قَضَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِيمَا قَضَى بِهِ  
 بَأَنَّ الْهَوَى يُعْمِي الْقُلُوبَ وَيُبِكِّمُ  
 وَحُبُّكُمْ أَضَلُّ الْهَوَى وَمَدَارُهُ  
 عَلَيْهِ وَفَوْزٌ لِلْمُحِبِّ وَمَغْنَمٌ  
 وَتَفَنَّى عِظَامُ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَاتِهِ  
 وَأَشْوَاقُهُ وَقَفَّ عَلَيْهِ مُحَرَّمٌ

### ٦٣ - الحنين إلى مكة<sup>(١)</sup>

اتركوني في أرض مكة يوماً  
أغسل الهمَّ عن فؤادي الحزين  
كم تشوقتُ والمزارُ بعيدُ  
وتطلعتُ من وراء السجونِ  
من سنين والقلب ينبض شوقاً  
أيُّ شوق يزيد مرَّ السنين  
هكذا وانقضت ليالي وصالٍ  
دون أن تنقضي لديها شؤروني

---

(١) هذه القصيدة لشقيقي الشيخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس،  
قالها في وداع مكة عام (١٤٢٠ هـ) بعد انقطاع عنها دام خمسة  
عشر عاماً.

ما دخلنا حتى خرجنا سراعاً  
 ورجعنا للوعدة وشجون  
 هدأت في الرحاب منا قلوبٌ  
 ظامئاتٌ لوجهها الميمون  
 وعلى الروحِ قد أطلتْ غيثاً  
 نظراتٌ من سرّها المكنون  
 ثم قالوا غداً نسيرُ فهاجوا  
 في فؤادي مواجعاً من حين  
 مكتي مكة الهوى والأمانى  
 أيّ عين أسلتِ أيّ عيون  
 ومضى الركبُ، والفؤادُ ترامى  
 ليت شعري فَمَنْ لقلبٍ حزينٍ



## ٦٤ - ولكن الصلاة تذكرك بالحج

من نعمة الله على المسلم، ومن رحمته به أن الله تعالى قد أكرمه بالصلاة، فلعلّه يقضي بها شوقه وحنينه عندما يكون بعيداً عن هذا البيت العتيق.

ففيها يمشي المسلم ملبياً النداء إلى بيت من بيوت الله متذكراً تلبية الحاج نداء الله في الحج، وليعلم المسلم أنه بعمله هذا يؤجر كأجر الحاج، يدل على ذلك ما جاء عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ وَهُوَ مُتَطَهَّرٌ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ مَشَى إِلَى سُبْحَةِ الضُّحَى كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ عَلَى إِثْرِ صَلَاةٍ لَا لَعْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عَلَيَّيْنِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٣٠٤) (٣٦ / ٦٤٠) وقال شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن». وأبو داود، كتاب الصلاة، باب صلاة الضحى (٥٥٨) وقال =

وفي الصلاة يستقبل القبلة باتجاه الكعبة المشرفة  
متذكراً طواف الطائفين حولها في الحج. وفيها التضرع  
والمناجاة متذكراً تضرع الحاج ومناجاته لربه في عدد من  
مناسك الحج.

بل إن من تكريم الله لهذه الأمة أنه خصَّ نبيها ﷺ  
بأن جعل له الأرض كلها مسجداً وطهوراً، فالمسلم  
يلبّي نداء الله في أي بقعة من أرض الله، قال عليه الصلاة  
والسلام: «أُعْطِيَتْ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: ... وَجُعِلَتْ  
لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ  
الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ...»<sup>(١)</sup>.

= الدمياطي في المتجر الرابع (ص: ١١٦): «رواه أبو داود  
بإسناد حسن». وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٦٧٥).  
(١) أخرجه البخاري، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض  
مسجداً وطهوراً» برقم (٤٣٨).

وهذا مظهر من مظاهر عالمية رسالته عليه الصلاة  
والسلام، أليس قد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

خطر لي هذا المعنى في ليلة من ليالي منى، وكنا  
نقرأ هذه الكلمات: «هو الذي لعظمته المعنوية صار  
سطح الأرض مسجده، ومكة محرابه، والمدينة منبره،  
وهو إمام جميع المؤمنين يأتون به، صافين خلفه،  
وخطيب جميع البشريين لهم دساتير سعادتهم،  
ورئيس جميع الأنبياء يزكيهم ويصدقهم بجامعية دينه  
لأساسات دينهم...»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر الكلمة التاسعة من قسم الرشحات من المثنوي العربي  
ص ٢٥٥.



فحافظ أيها المسلم على الصلاة فهي رحلة الحب  
والشوق، والإكرام والإفضال، وفيها القرب والمناجاة.  
وأستعير هنا كلمة الإمام الدهلوي في الحج، فأقول:  
«وربما يشفق الإنسان إلى ربه أشدَّ شوق، فيحتاج إلى  
ما يقضي به شوقه فلا يجده إلا في الصلاة»<sup>(١)</sup>.

وهناك أعمال صالحة لها أجر الحج والعمرة، ورد  
فضلها في السنة النبوية، وفقني الله تعالى لجمعها، يسّر الله  
طبعها ليعم النفع بها، وهي أيضاً مما يقضي المسلم بها شوقه  
وحينه إلى البيت العتيق.



(١) والدهلوي يقول: « في الحج ».

## ٦٥- بحوث مقترحة حول الحج

- ١- الحج تاريخه وحكمه وأحكامه وأثر ذلك في بناء الأسرة المسلمة.
- ٢- الآيات الواردة في الحج: دراسة موضوعية.
- ٣- الأحاديث النبوية الواردة في الحج: دراسة موضوعية.
- ٤- مقاصد الحج في القرآن الكريم
- ٥- مقاصد الحج في السنة النبوية.
- ٦- مقاصد الحج عند العلماء.
- ٧- أحكام الحج في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة



تشمل كل الاجتهادات.

٨- المناظرات الفقهية في الحج.

٩- الحج في الشعر العربي.

١٠- الحج في الرحلات.

١١- تاريخ الكعبة المشرفة.

١٢- الإعجاز العلمي فيما يتعلق بالحج في الأماكن

والأحكام.

١٣- الأحاديث النبوية الواردة في الأنبياء الذين

زاروا البيت.

١٤- الأعمال التي لها أجر الحج والعمرة.



١٥- قصص هادفة وقعت للحجاج والمعتمرين.

ولعل عدداً من هذه البحوث قد كتب فيها، ولكن  
أقترح التوسع فيها، وأن تكون في موسوعة ورقية  
والكترونية للاستفادة منها بصورة أعم وأوسع.



## قائمة المحتويات

|    |                                       |
|----|---------------------------------------|
| ٥  | افتتاحية .....                        |
| ٧  | المقدمة .....                         |
| ١٣ | خواطر حول مكة .....                   |
| ٢٠ | خواطر حول الإحرام .....               |
| ٢٤ | خواطر حول التلبية .....               |
| ٢٦ | خواطر حول الكعبة والمسجد الحرام ..... |
| ٣٣ | خواطر حول الطواف .....                |
| ٣٧ | خواطر حول السعي .....                 |
| ٤٢ | خواطر حول يوم عرفة .....              |
| ٤٨ | خواطر حول منى ورمي الجمرات .....      |
| ٥٧ | خواطر حول حِجَم الحج وفوائده .....    |
| ٥٩ | خواطر حول المدينة المنورة .....       |

- ٧٤ ..... خواطر عامة -
- ٧٦ ..... مشاهدات وقصص -
- ٧٧ ..... الخاتمة: الحنين إلى مكة -
- ٨٨ ..... بحوث مقترحة حول الحج -
- ٩١ ..... قائمة المحتويات -

